# أزمة الانسان المعاصر بين الو اقع التكنولوجي والتوجيه الأخلاقي في فلسفة " إريك فروم"

# The crisis of contemporary human between technological reality and "moral guidance in the philosophy of "Eric Fromm

**تيرس حبيبة**

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف tires.habiba@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/19 تاريخ القبول: 2022/04/28 تاريخ النشر: 2022/07/31

**ملخص:**

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى التطرق إلى أحد اعمدة مدرسة فرانكفورت وهو الفيلسوف وعالم النفس الألماني الأمريكي " إريك فروم " المعروف بنزعته الإنسانية، وذلك بالتركيز على أهم أفكاره الفلسفية التي انصبت على دراسة وتحليل مختلف الأزمات التي يعيشها الإنسان المعاصر في عالم التطور التكنولوجي والصناعي، الذي ألغى أهم معالم الإنسانية في بعدها الاخلاقي والنفسي والاجتماعي، وأدخلها في دوامة أزمة حقيقية تسودها الفوضى والعبثية بإبعاها عن كينونتها الحقيقية، الأمر الذي أدى بـ" إريك فروم" إلى ايجاد حل لهذه الأزمة عن طريق البحث عن أخلاق إنسانية للعلم وخلق ما سماه "بالمجتمع السوي" كبديل عن المجتمع المرضي.

**كلمات مفتاحية:** الإنسان المعاصر، التطور العلمي، الأزمة، الأخلاق الإنسانية، القيم.

**Abstract:**

We seek through this research paper to address one of the pillars of the Frankfurt School, the German-American philosopher and psychologist "Eric Fromm" known for his humanistic tendency, by focusing on his most important philosophical ideas that focused on studying and analyzing the various crises experienced by contemporary human in the world of technological and industrial development which canceled the most important features of humanity in its moral, psychological and social dimension, and entered it into a spiral of a real crisis of chaos and absurdity by distancing it from its true being, which led Erich Fromm to find a solution to this crisis by searching for human ethics for science ,and created what he called a "normal society" as an alternative to the pathological society.

**Keywords:** contemporary man, scientific development, crisis, human ethics, values.

## 1. مقدمة:

لقد وصل الإنسان المعاصر إلى مرحلة من التطور العلمي و التقني لم يسبق لها مثيل، معتبرا ذلك التطور دليل على رفاهيته وتقدمه بالمقارنة مع بني جنسه في العصور السابقة، مع يقينه التام بأن العلم هو من يبني المجتمعات ويجعلها أكثر قوة وتحضرا من المجتمعات التي لا تنتج العم والمعرفة ، لذلك أصبح لا يستطيع تصور حياته من دون منتجات العلم، التي سهلت عليه الحياة وحلت له الكثير من المشكلات التي واجهته. وأجابت على العديد من التساؤلات التي راودته.

غير أن هذا الانبهار بنتائج العلم الإيجابية لم يدم طويلا ، وشعار "أن العلم قوة في يد الإنسان على الطبيعة " حسب تعبير الفيلسوف التجريبي "فرنسيس بيكون" تحول إلى شعار " أن العلم أصبح يمثل قوة على الإنسان لا في يده" بعد أن فقد سيطرته على نتائجه، أي أن العلم سلاح ذو حدين، ففي عالم الموجودات والتطور العلمي الكبير حدثت مفارقات على المستوى الإنساني الذي أصبح يتخبط في مشاكل أثرت على نفسيته وعلى إنسانيته ووجوده، لذلك أصبح تفكير الإنسان في مصيره من الأمور التي تشغله وتشغل تفكير الباحثين المهتمين بالقضايا الإنسانية لإيجاد حل لأزماته النفسية والاجتماعية بسبب المتناقضات الغريبة التي حملتها المدنية الحديثة إلى المجتمعات البشرية وفي مقدمته انهيار القيم الانسانية والأخلاقية. ويعد " إريك فروم" من أهم الفلاسفة الذين الذي بحثوا في مصير الإنسان وأزماته في ضوء نتائج العلم والبحث عن سبل لإخراجه من عالم التملك إلى عالم الكينونة على حسب تعبيره .

وعليه كيف فهم" إريك فروم "أزمة الإنسان المعاصر في ظل التطور التكنولوجي؟ وما هو المشروع الذي قدمه من أجل مواجهة المد التكنولوجي وحماية الوجود الإنساني ببعده الأخلاقي من عالم الأشياء المادية، وما نوع من الأخلاق التي نادة بها؟ .

## 2. مظاهروتجليات أزمة الإنسان المعاصرفي ضوء التطورالعلمي:

على غرار العديد من الفلاسفة قام "إريك فروم "Eric Fromm * بتحليل بنية المجتمعات الرأسمالية وتشخيص الحالة المرضية للمجتمع الغربي وأزمته الحقيقية في القرن العشرين، والتي نلمح حضورها

* "إريك فروم""1900 -1979 ) Eric Fromm)، فيلسوف أوروبي- أمريكي، وعالم نفس وناقد اجتماعي، ولد في ألمانيا أين أكمل دراسته الجامعية فيها ،ثم هاجر إلى أمريكا أين اشتغل بالتدريس بالجامعات الأمريكية، وممارسة العلاج النفسي، تأثر كثير بالمدرسة الماركسية وبمدرسة التحليل

بشكل كبير في القرن الواحد والعشرين، بسبب التطور الهائل في العلم والتوسع في استعمال الآلة، وكذا التنبؤ باستمرارها في القرن الواحد والعشرين إذا لم يتم القدرة على علاجها، ويعتقد أن ما نحن عليه أخطر بكثير من الأزمات التي وقع فيها إنسان القرن التاسع عشر والثامن عشر وحتى في الحروب التي جرت من قبل، لأن العدو الآن تغير وأصبح شيئا متخفيا عوضا أن يكون سلطة مباشرة يمكننا محاربتها، حيث يقول في هذا:" لم نعد في خطر أن نصبح عبيدا، بل أن نصبح بشرا آليين... فلا توجد سلطة صريحة تتوعدنا، بل يحكمنا الخوف من سلطة التماثل المُغفلة. ولا نخضع لأي انسان بصورة شخصية، ولا نعاني من منازعات مع السلطة ولكن ليست لدينا اقتناعات بأنفسنا وتكاد لا تكون فردية، ولا إحساس بالذات" (فروم، 2009، ص 212). وهذه السلطة في رأيه لا تستعمل وسائل الضغط بل أسلوب "الاغراء المعتدل" الذي يجعل الإنسان يمتثل لها برغبة منه ومن دون مقاومة لها، فهو يحس بأنه حر في اختياراته النابعة من أوامره الداخلية لأنها" مقنعة مثل الحس المشترك والعلم والصحة النفسية والسوية والرأي العام" (فروم، 1972، ص 136) وهذا ما يجعلها أكثر خطورة من السلطة الواضحة التي نشعر بضغطها المباشر ونبحث عن وسائل تحررنا منها.

الأمر الذي جعله يشبه لنا تداعيات المجتمع الصناعي الذي بسببه غرق الإنسان المعاصر في أزماته بالشبح الغير مرئي، الذي يلاحقه في كل تفاصيل حياته دون أن يشعر بوجوده، لأنه تورط في الإندماج معه من دون وعي منه، بحيث سلبه أحاسيسه وأفكاره وحوله إلى شخصية سلبية مصطنعة، ويصرح " فروم" في هذا المعنى بقوله" هناك شبح يتسكع وسطنا إلا أن قلة تراه بوضوح. إنه ليس الطيف القديم للشيوعية أو الفاشية. إنه شبح جديد: إنه مجتمع اصطبغ بصبغة آلية تماما. وقد تكرس من أجل النتاج المادي بأقصى طاقة كما تكرس بالنسبة للاستهلاك بأقصى طاقة أيضا، وهو يدار بالكومبيوتر، وفي هذه السيرورة الاجتماعية فإن الإنسان نفسه قد تحول إلى جزء من آلة كاملة، وهو يتغذى على نحو ما يرام وتجري تسليته هكذا أيضا، ومع هذا فهو سلبي وغير حي وليست لديه إلا مشاعر واهنة ".(فروم، 2010، ص 13)

---

النفسي حيث يظهر ذلك في كتاباته التي طرح فيهما أفكار المدرستين بالدفاع على العديد من مواقفها، بالرغم من توجيه بعض الانتقادات لهما. خلّف العديد من الكتب المهمة التي ترجمت إلى مختلف لغات العالم لأهميتها خاصة أن جل أعماله اصطبغت بالصبغة الإنسانية بحيث تمحورت على فهم احتياجات الإنسان المعاصر وعلى شروط المحافظة على كينونته، من بينها نذكر: الخوف من الحرية، الإنسان من أجل ذاته، ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة، عن العصيان، حب الحياة، ...الخ.

يعنون " إريك فروم " أحد فصول كتابه " الإنسان المستلب وآفاق تحرره".ب (النتائج النفسية للتصنيع)، إذ يتناول فيه سيكولوجية الإنسان المعاصر في ضوء النتائج الباهرة التي حققتها العلوم وخاصة في مجال الصناعة، إذ يجد أن هناك مفارقة كبيرة بين التطور الصناعي في مقابل التأخر في نمو الطبيعة الإنسانية. إذ يتساءل:" لماذا نجد في الدول الأكثر تصنعا ورفاهية كسويسرا والسويد أعلى نسبة الانتحار والكثير من المدمنين على الكحول؟ لماذا يقدم أغنى بلد في العالم الولايات المتحدة الامريكية، الواقعة المتمثلة في كونه البلد الذي يعيش عصر الخوف، ؟ لماذا تتبادل الدول الاكثر تقدما اقتصاديا التهديدات لمسح الواحد الآخر، وتهدد نفسها كذلك بالانتحار ".(فروم، 2003، ص107)

فالمجتمع الصناعي بالرغم من رفاهيته إلا أنه يتصف على حسب تعبير "فروم" بأنه مجتمع جبناء وخائفين من عدم النجاح المادي، دون خوفهم من عدم النجاح في الحياة القيمية والإنسانية، فالإنسان ينبهر بالآلات والتقنيات ولا يولي أي انبهار بالحياة وبالصيرورة الحياتية "إذ يشعر الإنسان بالزهو باكتشاف الصواريخ والسلاح النووي أكثر من شعوره بالحزن عندما يكتشف أن هذا الاكتشاف خطر على الحياة ". (فروم، مصدر سابق، ص 113)

ومن المخاطر الكبيرة التي وقع فيها الإنسان المعاصر ومن دون وعي منه هو عزوفه التدريجي عن الرغبة في عيش الواقع الفعلي بقوانينه وقيمه وموجوداته، والإهتمام بصنع واقع وهمي خاص به وإعطاء قيمة للواقع المصطنع على أنه عالم أكثر وثوقا وأمانا "فإمكانية خلق واقع وهمي قد أصبحت في الوقت الحاضر أكبر مما كانت عليه في القديم، وبالخصوص بمساعدة التقنيات الالكترونية الحديثة في مجتمع اللهو الصناعي، مجتمع المعاشات الخاصة، مجتمع التواصل" (فروم، 2016، ص 30) وهذا ما تحقق فعلا وأصبحنا نتحدث الآن في القرن الواحد والعشرين عن ما يعرف بالواقع الافتراضي الذي كسح العالم الواقعي والحياة الحقيقية للناس، والذي يؤدي إلى تحطيم القدرة على التحكم الفعلي في الواقع الحقيقي ومتطلباته، وإمتلاك الحقائق المزيفة.

بهذا فقد خابت تنبؤات الإنسان في اعتقاده بأن العالم يسير في تقدم نحو تحقيق رفاهيته بمجرد كسبه المزيد من الوسائل التكنولوجية والآلات التي تيسر عمله، وبأن ابتعاده عن الإضطهاد السياسي المباشر هو تحقيق لحريته، في حين يعتقد " فروم" أن هذا التقدم عبارة عن تقهقر واضطهاد للإنسان فقد يختلف عن سابقه في الوسيلة بل ونتائجه أخطر بكثير على الإنسانية من الوسائل السابقة" وإن

رؤيتهم لعام 2000 هو أنه سوف يكون التحقق الكامل لآمال الإنسان منذ نهاية العصور الوسطى، وهم لا يرون أن عام 2000 قد لا يكون عام الإنجاز والذروة السعيدة لحقبة ناضل فيها الإنسان من أجل الحرية والسعادة، لكن بداية حقبة فيها يكف فيها الإنسان من أن يكون إنسانا وأنه قد تحول إلى آلة لا تفكر ولا تشعر ." (فروم، مصدر سابق، ص30 )

وبما أن "فروم" بالاضافة لكونه فيلسوف فهو عالم نفس أيضا نلاحظ في تحليله لأفكاره الفلسفية حول أزمة الإنسان المعاصر لجوءه إلى استخدام مصطلحات علم النفس وتوظيفها في تشخيص أزمات الإنسان المصنع باعتبارها أمراض وجب علاجها، فنجده يتحدث عن ما يسميه" بالمجتمع المريض نفسيا"، ويقارب بين حالة الإنسان المصنع وبين سيرورات الفصام، إذ يرى أن" الشخص الفصامي لا يعمل شيئا آخر من غير عيش عالمه الخيالي عوضا عن عالمه الواقعي، ويفضل الوضع المتمثل في كون الواقع الخيالي المصنوع هو اليوم واقع جماعي، يعيشه كثيرون، فإن الكثيرون لا يعتبرون أنفسهم مرضى، وبهذا فهم ليسوا انفصاميين بالمعنى العلاجي للكلمة. إن معاناتهم الناتجة عن علاقة مرضية مع الواقع هي علم أمراض الحالة السوية ." (فروم، مصدر سابق، ص33)

وتوصل عبر دراسته لواقع للمجتمع المصنع باكتشاف ما اطلق عليه تسمية "النيكروفيلية" "Nekrophilie"، المشتق من اللاتينة Nekros والتي تعني 'الجثة لميتة'، ومفاد هذا المبدأ هو تفضيل كل ما ليس فيه حياة وكل ما هو ميت عن ما هو حي. "وشعاره يتمثل في:" إذا لم يكن في استطاعتي أن أحب وأن أحيا، فإنني أريد على الأقل أن أتمتع بالهدم". (فروم، مصدر سابق، ص36 ) فمن مخاطر ذلك هو التحول إلى عدم الاكتراث بالحياة بدلا من "تقدير الحياة"، فينجذب الناس إلى كل ما هو غير حي وإلى كل ما هو ميكانيكي ، ويفضلون الادوات والآلات على البشر الأحياء، فنجدهم يعملون على تطوير الإنسان الآلي لجعله أكثر قدرة من الإنسان الطبيعي ووضع كل ثقتهم فيه ويتمظهر مبدأ "النيكروفيلية" أكثر عند الجماعات الأكثر عنفا وتطرفا كالعنصريين والارهابيين، الذين يمارسون العنف من أجل العنف ، كتعويض عن الفراغ الخالص وعدم القدرة على حب الحياة، وإذا اسقطنا هذا المبدأ الذي يمتد عبر جذور تاريخية على مجتمع السوق فإننا نجد بأنه له علاقة وطيدة بالزمن الذي بدأ فيه المرء يفضل كل ما هو تجريدي وحسابي على ما هو انساني. (فروم، مصدر سابق، ص76) فاعتقاده بفكرة أن الآلة يمكنها أن

تحل محل الإنسان هي تعبير عن الهروب من الحياة ومن كل ما هو عقلي وإنساني مرتبط بالفكر والمشاعر.

وبهذا فقد ظهر الإنسان في ضوء المجتمع المصنع بشخصية مخالفة لطبيعته البشرية الحقيقية، ويمكن تلخيصها على حسب توصيفات" إريك فروم" لواقع أزمات الإنسان المعاصر في:

## 1.2 الإنسان المستلب والمستهلك:

تعتبر الحاجة إلى الاستهلاك أمرا طبيعيا ومشروعا للإنسان الطبيعي الذي يريد أن يشبع حاجاته ويحسن من حياته، لأن الوجود الإنساني يتطلب امتلاك أشياء تساعده على البقاء من غذاء وماوى وأدوات ضرورية، وهذا ما يسميه " فروم" ( بالتملك الوجودي) وهو مطلب ضروري، أما ما يرفضه "فروم" هو نوع آخر من التملك مخالف للتملك الطبيعي، يطلق عليه مصطلح ( التملك التطبعي) الذي يكون بدافع الشهوة للحصول على الأشياء تحت تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية بعيدا عن فطرة الطبيعة البشرية. (فروم، 1989، ص 77)

تحول الإنسان في المجتمع المصنع إلى مجرد بضاعة، يعيش حياته كرأس مال يجب استثماره لتحقق أكبر قدر من الربح، فإذا نجح في ذلك ستكون حياته ناجحة وإذا حدث العكس فإن حياته ستؤول إلى الفشل، وبالتالي" تتأسس قيمته على امكانية بيعيه، وليس على قيمته الإنسانية: العقل، الحب، وعلى قيمته الفنية، فقيمة حياته الذاتية موقوفة على عوامل خارجية: نجاحه وحكم الآخرين عليه، ولهذا السبب فإنه تابع للأخرين، ولا يمكنه أن يحس بالثقة في نفسه إلا إذا سلك سلوكا لائقا مع الآخرين." (فروم، مصدر سابق، ص 109)

انتبه "فروم" في فلسفته الإنسانية إلى ظاهرة الاستلاب التي يعيشها الإنسان في ظل المجتمع الاستهلاكي الرأس مالي، وهو استيلاب مر بعدة مستويات، أهمها استلاب وعي الانسان والزج به في عوالم استهلاكية خيالية، بحيث لا يكون مطالب فيها باستعمال ذكائه وخياله وعبقريته بقدر ما يكون مجبرا على الاستهلاك الأعمى، ومن الميكانيزمات النفسية التي توظف لهذا الغرض هي تقييد الإنسان باصفاد غير مرئية تبيع له القيد معلبا في علبة الحرية، وبمبادئ من قبل الفردية والحرية الشخصية. وهناك ميكانيزمات عديدة ومعقدة تساهم في هذا الاستلاب مخططة في مخابر الشركات العظمى المستفيدة الأولى من تكثيف الإستهلاك وما ينتج في الدول المصنعة. (فروم، مصدر سابق، ص12) من خلال تشجيع الإنتاج

الثانوي غير الضروري على حساب الاحتياجات البشرية الحقيقية وهو ما يطلق عليه " فروم" بالفائض عن الحاجة، "فمجتمع الفائض عن الحاجة هو الذي بإمكانه تنظيم رحلات إلى القمر عاجزا عن ايقاف خطر القضاء على الجنس البشري، فإنه يكون بالإمكان نعته بالعاجز". (فروم، مصدر سابق، ص 88) لأنه لم يستطع حل المشاكل الايكولوجية التي حصدت العديد من الارواح، ولا القضاء على ظاهرة الجوع المتفشية في العديد من بلدان العالم، وكذا ظاهرة الطبقية حتى في البلدان الغنية بحيث نجد طبقة تعيش بما سماه ب" فائض فائض الحاجة"، والاخرى تعيش الفقر المتقع .

لذلك أدى مبدأ ضرورة الاهتمام بتوجيه السوق في الاقتصاد العالمي إلى قلب موازين معادلة النظر إلى الأولويات فلم يعد الاهتمام بالوجود الخاص بالإنسان وإلى امكانياته الفعلية ومشاعره وحاجياته وأفكاره يمثل مصدر البحث بل " المهم هو ما يمكن تسويقه، ما يعجب، ما هو معلب بطريقة ذكية.... وبهذا فإن توجيه السوق يؤدي نظريا إلى نزع كل قيمة عن الوجود الخاص للإنسان وعن تجاربه الشخصية." (فروم، مصدر سابق، الصفحات 29-28) وقد أدى هذا النمط من الاقتصاد إلى تحويل الإنسان من مستهلك لحاجاته الضرورية إلى مستهلك شامل أي يصبح همه الوحيد هو المزيد من الامتلاك والاستهلاك لأشياء لا فائدة ولا قيمة لها، إذ يجد نفسه يقوم بأشياء غير مهتم بها، ويصبح إنسان سلبي فاقد القدرة على المبادرة، ويقع تحت ضغط المنتوجات الصناعية بدون وعي منه كالسيارات والسنما التي تؤدي في مفعولا يشبه مفعول السجائر والمخدرات، وأبلغ تشبيه لهذه الحالة هو وصف " إريك فروم" له بالطفل الرضيع" :" إنه الرضيع الأبدي ذو الفم المفتوح، ( يساق)، بدون جهد وبدون فاعلية باطنية". (فروم، مصدر سابق، ص 70)

الأمر الذي يوقعه في فريسة الاستغلال السهل من طرف النظام الصناعي لتعوده على السلبية وعدم المبالات إذ تقل مقاومته لأي شكل من أشكال سلطة المؤسسات الصناعية "وإن المديرين وكذلك المستهلكين هم جزء من نفس النظام المغترب، إنهم سجناؤها وليسوا مبدعيها. والمديرون يميلون إلى إرغام المستهلك للاندفاع نحو السلبية، لكن المستهلك منجذب لدوره السلبي، إنه يسهل المسألة ليجري استغلاله." (فروم، مصدر سابق، ص 188)

من مخرجات الفقر الذاتي والوجودي للإنسان المعاصر في ضوء نتائج الاقتصاد وشروط السوق هو لجوء الإنسان للبحث عن تعويض لذلك الفقد بايجاد طرق أخرى تمكنه من اثبات وجوده، ويعتبر الاستهلاك والامتلاك عوض الوجود هو الحل بالنسبة له. فخسارة وجوده ادخلته في دوامة الشعور

بالضياع والملل وعدم الرغبة في العمل والخوف، فاختار التوجيه الامتلاكي بدل التوجيه الوجودي، والامتلاك هذا لا ينحصر فقط في الخيرات المادية بل يتجاوز إلى امتلاك القيم والمعارف والحقوق والقناعات وغيرها. (فروم، مصدر سابق، ص 30-29)

فالاستهلاك غير الواعي يقود حسب "فروم" إلى السقوط حتما في فخ مبدأ الامتلاك الذي يقلص الحياة الإنسانية في الأشياء والمواد التي تقدم له، ليصبح الإنسان نفسه مجرد بضاعة تباع وتشترى تماما كباقي البضائع الأخرى، فالحب مثلا قد أفرغ من مظمونه الانساني وحوّل إلى مجرد جنس واشباع للرغبات والشهوات الغريزية. (فروم، مصدر سابق، ص 10) فالشركات العظمى نجحت في تكوين الإنسان الذي تحتاجه من دون مشاكل بالبحث عن "الإنسان الذي يرغب في الاستهلاك فقط، بحيث يكون ذوقه مقننا ويمكنهم التنبؤ به مستقبلا لمزيد من الانتاج، إنسان يشعر بحريته من دون أي سلطة أو مبدأ يقيده أو ضمير يؤنبه، فقط يكون مندمجا في الآلية المجتمعية. (فروم، 2016، ص 52) " ويتحول بهذا مفهوم الكوجيتو الديكارتي إلى كوجيتو من نوع آخر في العصر المعاصر إلى " أنا موجود بقدر ما أملك وما أستهلك". (فروم، مصدر سابق، ص40) ويصبح هم الإنسان الوحيد هو المزيد من الامتلاك الذي في رأيه يجعله يتغلب على قلقه، ولكن لا يتوقف ذلك ودائما يريد عن يبتلع العالم على حسب تعبير "فروم" ليفقد شيئا فشيا إنسانيته ويتحول على حسب تعبير "هيدغر" إلى شيء من الأشياء التي يصنعها أو يستهلكها، إذ "يتشيأ الإنسان لحظة تلوى الأخرى ويعمل على قتل ذاته كمستهلك أبدي. كل شئ يتحول في النهاية إلى سلعة استهلاكية." (فروم، 2016، ص 52)

### 2.2 الإنسان المغرّب:

يعتبر "إريك فروم " أن الإغتراب يشكل مرض العصر الذي منه تشتق كل أعراض وأنواع العصابات، وأنه ليس مفهوما حديثا بل له أصول تاريخية تمتد عبر العصور ويختلف من ثقافة إلى ثقافة أخرى، وأن الاغتراب* في المجتمع الحديث يختلف كليا عن معناه في السابق إذ أصبح يشمل علاقة الإنسان

* يقدم لنا" إريك فروم " تعريفا لمفهوم الإغتراب يقول فيه:" والمقصود بالإغتراب هو نمط الخبرة الذي يَخبُر به الشخص أنه غريب. ويمكن للمرء أن يقول، إنه قد صار متغرّباً عن نفسه. إنه لا يَخبُر نفسه على أنه مركز عالمه، وخالق أفعاله- بل على ان أفعاله وعواقبها قد صارت سادته، الذين يطيعهم، أو يمكن حتى أن يعبدهم. والشخص المغترب بعيد عن التماسّ

بعمله وبالاشياء التي يستهلكها وبعلاقته مع نفسه ومع أفراد مجتمعه ودولته، فبالرغم من أن الإنسان هو صانع لعالم الاشياء ولتلك الآلات التقنية المعقدة فإنه يتحول إلى خادم لها ويقف موقف الضعيف والعاجز أمامها من دون أن يشعر بأنه هو المبدع لها " فهو يواجه نفسه بقواه المتجسدة في الأشياء التي خلقها، مغتربا عن نفسه. ويمتلكه خلقه، وقد فقد ملكيته لذاته." (فروم، مصدر سابق، ص 235) فنحن في رأيه نعيش في عالم كله اغتراب عالم لأشياء مادية، وصلتنا الوحيدة بها تكمن فقط في معرفتنا كيفية استهلاكها أو استعمالها من دون معرفة حقيقتها أو كيفية صنعها أو آثار استخدامها. أو مصدرها وطبيعتها فتبقى أشياء غريبة عنا. (فروم، مصدر سابق، ص 246)

تعد الأسلحة النووية رمزا حقيقيا على ذلك الاستيلاب، باعتبارها ظاهريا من نتاج الإنسان، وتعبير عن مدى امكانياته العقلية والمعرفية وقدراته الإبداعية في صنعها، ولكن في الحقيقة هي التي تتحكم فيه، ويعتقد الإنسان بأنه هو القادر والمتحكم ولكنه هو المحكوم وليس من طرف الطغاة، بل من طرف الاشياء التي سلبته إرادته وأهدافه وحتى رؤيته إلى مستقبله التي أصبحت محكومة بها، فإذا" كان بإمكان المرء أن يقول في القرن التاسع عشر " مات الله" ويجب على المرء أن يقول في القرن العشرين: مات الإنسان. وما وصلنا إليه اليوم هو: لقد مات الإنسان لتحيا الأشياء. لقد مات الإنسان ليحي منتوجه". (فروم، مصدر سابق، ص ص 75-74)

والأمر لم يعد يقتصر على الأشياء المادية فقط، بل امتد أيضا إلى مستوى المشاعر والأحاسيس والتفكير والإرادة الفردية التي أصبحت مجرد أوهام ومشاعر مزيفة يعتقد الإنسان الغربي أنها حقيقية، ولكن هي أفكار غيرنا وأرائهم التي غرسوها فينا "إذ أنه يمكن أن تكون لدينا أفكار ومشاعر ورغبات، بل أحاسيس حية نشعر بها ذاتيا، إنها أحاسيسنا، ومع هذا بالرغم من أننا نعيش هذه الأفكار والمشاعر، فإنها قد وضعت فينا من الخارج، وهي غريبة أساسا عنا، ليست هي ما نفكر فيه، ونشعر." (جمعة، 2011، ص 212) وهذا ما يلخصه لنا في " اغتراب الذات عن ذاتها" وصنميتها من خلال ارتباطها بعالم الأشياء التي خلقتها وعبر مختلف العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية. فالإنسان لم يعد يعيش لذاته فلقد " نجع التصنيع في خلق مثل هذا الإنسان: الإنسان الآلي المغرب، وبهذا المعنى فإنه مغرب بحيث

بنفسه كما بعيد عن التماسّ بأي شخص آخر. فهو يخبر كما تخبر الأشياء، بالحواس والفهم المشترك، ولكنه في الوقت ذاته لا يكون متواصلا مع نفسه ومع العالم خارجه بطريقة إنتاجية"، أنظر إريك فروم، المجتمع السوي، ص232.

أن سلوكه وقوته الخاصين قد أصبحا غريبين عنه، يقفان قبالته، موجهان ضده إنهما يتحكمان فيه عوض أن يتحكم هو فيهما، تحولت قوته الخلاقة إلى الأشياء وإلى المؤسسات، التي أصبحت من جانبها بمثابة أوثان.... إن الإنسان المغرب يركع أمام منتجات يده وأصنامه هي التعبير الغريب عن قوته. (فروم، مصدر سابق، ص 110)

لذلك يوجه " فروم" نقدا لعلماء النفس الصناعيين الذين يحاولون رفع كمية انتاج العامل والبحث عن الشروط والعوامل التي تساعد على ذلك، إذ يصف عملهم بالاحتيال على ذهن العامل وذلك باسم العلاقات الإنسانية من خلال البحث عن العوامل التي تجعله يشعر بالرضى والامن والسعادة غير أن ذلك يجعلهم يعاملون "العامل بكل التدابير التي تليق بشخص مغترب تماما، حتى السعادة والقيم الإنسانية تزكى في مصلحة العلاقات مع الجمهور." (فروم، مصدر سابق، ص ص 299-298)

فالمشكلة الاخلاقية اليوم تكمن في عدم مبالات الإنسان بنفسه إذ فقد الاهتمام بنفسه وفقد الاحساس بأهمية الفرد وفردانيته، ولم يعد يؤمن بقدراته ولا بإبداعاته فقد يتبع القطيع أينما ذهب لتحقيق غاياته "وإننا جعلنا أنفسنا أدوات لمقاصد خارج ذواتنا، أننا نخبر انفسنا ونعاملها على أنها سلع، وأن قدراتنا قد أصبحت مغتربة عن أنفسنا. أصبحنا أشياء وأصبح جيراننا أشياء. والنتيجة هي أننا نشعر بالعجز ونحتقر أنفسنا على عدم استطاعتنا ... وليس لا ضمير بالمعنى الانساني، ما دمنا لا نجرؤ على الثقة بحكمنا". (فروم، 2007، ص ص 276-275)

ومن أعراض تغريب الإنسان في المجتمع المصنع هو شعوره بالقلق المستمر نتيجة إحساسه بالوحدة وعدم القدرة على خلق عالمه الخاص بإرادته ، فهو لا يشعر بارتباطه بهذا العالم بشكل فعال، وحتى بالنسبة لهويته فهو يعيش هوية غير مستقرة ومضطربة، الأمر الذي يجعله في مازق الامتثال والطاعة فقط. (فروم، مصدر سابق، ص 71) أين تمتد تلك الاعراض حتى في علاقاته الإنسانية التي يسودها اللامبلات والإهمال وتطغى عليها النزعة المادية والشيئية.

### 2.3. الإنسان الكمي والتجريدي:

يشير " فروم" إلى أن العصر الذي نعيش فيه الآن هو عصر الأرقام والتجريدات، بحيث أبعدنا عن الملموسات والحقائق المتعلقة بالجانب الإنساني والأخلاقي سواء في العلم أو التجارة وحتى السياسة التي في رأيه " فقدت كل الاسس والنسب التي تفهم انسانيا....وقد تم إخراج الإنسان من أي مكان محدد يستطيع منه أن يشرف على حياته وحياة المجتمع ويتدبرها" (فروم، مصدر سابق، ص 231) وذلك لأن الإنسان في

العالم الكمي يفقد كل قدراته أمام مختلف القوى المادية التي تجعله منهزما على مواجتها وتدخله في عالم كمي مادي يبقى فيه فكره منشغلا فقط بالتجريدات والحسابات ومبتعدا عن الحياة الملموسة .

فنتج من ذلك مجتمع يميل إلى النزعة التجريدية والكمية، بحيث " أصبحت الأبعاد التي نتعامل بها هي الأرقام والتجريدات ولم تعد تحكمها الأبعاد الإنسانية خاصة مع تطور وسائل التدمير الحديثة". (فروم، مصدر سابق، ص230) فقد استبدلت تلك التغييرات التي تشمل جانبا من الانسانية بتغيرات يعبر عنها بلغة الرياضيات، فتغيرت بالتالي المعايير التي نحكم بها في وصف عمل ما أو انسان إلا من خلال نفعيته في اختصاصه أو بطرح نتائج كمية عليه. وبالتالي تجرده من نزعته الإنسانية، وهكذا فالكمي والتجريدي من مغريات هذا الإنسان الذي " يصبح منسلخا عن ذاته ويصير لحظة تلوى الأخرى رقما لا كينونة، يصبح لحظة تلوى الأخرى ذلك الإنسان المؤسسي، يتشيأ، بينما هو في خطر أن يفقد جوهر وجوده الإنساني وهو البقاء حيا حقيقة." (فروم، مصدر سابق، ص 52)

بالرغم من اعترافه بالدور الكبير للقياس الكمي والتجريدي في عملية الانتاج الضخم، غير أن المشكل بالنسبة له هو تجاوز استعمال تلك الآلية من مجال النشاطات الاقتصادية لتمتد إلى مجال العلاقات الإنسانية وما يخص الإنسان في ذاته من مواقف وقيم، وهذا ما تخوف منه " فروم إريك" في مجتمع "صارت فيه النشطات الاقتصادية أهم شاغل للإنسان، فإن عملية القياس الكمي والتجريد قد تجاوت مجال الانتاج الاقتصادي وامتدت إلى موقف الإنسان من الأشياء، ومن الناس، ومن نفسه." (فروم، مصدر سابق، ص 224). فأصبح الرقم والعمليات الحسابية أهم شيء في الحياة، فكل ما يمكن تكميمه هو المطلوب وهور روح العصر، الأمر الذي أدى إلى حب اللاحياة وإلى افراغ الغنى الإنساني من متحواه، في بعده النفسي و العقلي والاجتماعي والتواصلي. وأصبحت تمثل خطرا على الحياة. (فروم، مصدر سابق، ص 37)

يسترسل " فروم" شرحه للإنسان الكمي في ضرب العديد من الأمثلة التي توضح المقصود من ذلك، فيقول عندما يتحدث المرئ عن جسر كلف ثلاثة ملايين دولار فإنه ليس معنيا في الدرجة الأولى بفائدته أو جماليته، اللتين هما من خصائصه الملموسة بل بوصفه سلعة أهم ما يميزها قيمتها التبادلية المعبر عنها بالكمية أي كمية المال والأشياء حتى بعد بيعها تحتفظ بقيمتها المادية وصفتها كسلعة. ويرى بأن هذا التجريد موجود أيضا حتى في الأشياء التي ليست عبارة عن سلعة تباع بل حتى في الظواهر التي تحدث، فعندما نرى عنوان رئيسيا لجريدة حول حدوث فيضان " كارثة مليون دولا" يتحدث فيه عن الحسائر

المادية والتأكيد على العنصر الكمي وليس على المعاناة الإنسانية الملموسة والخسائر البشرية . (فروم، مصدر سابق، ص ص 227-225)

فغابت بذلك أبعادنا الإنسانية وحل محلها البعد الرقمي في الإنسان كبديل عن ذلك، وعود عقله واهتمامه على الحسابات فقط" إن الأبعاد التي نتعامل بها هي الأرقام والتجريدات، وهي تتجاوز كثيرا تلك الحدود التي تسمح بأي نوع من الخبرة الملموسة. فلم يعد ثمت إطار مرجعي قابل للضبط، والملاحظة، يتكيف مع الأبعاد الإنسانية. ومع أن عيوننا وآذاننا لا تتلقى الانطباعات إلا في النسب التي يمكن ضبطها إنسانيا، فإن مفهومنا للعالم قد فقد تلك الخاصية تماما، وهو لم يعد يتلاءم مع ابعادنا الإنسانية." (فروم، مصدر سابق، ص ص 231-230)

ومبدأ الربح والخسارة والبحث عن الحصيلة والتكميم والمحاسبة تحول للأسف من الانتاج الصناعي إلى الحياة البشرية للإنسان، الذي أصبح عبارة عن مقاولة، ورأس ماله يتمثل في حياته، لذلك يسعى جاهدا للحفاظ عليها بحسن الاستثمار فيها، فإذا لم يتمكن من ذلك فشل وسيفقد حياته ويتحول إلى شيء من الأشياء الموجودة في عالم المادة، وبالتالي يعلن عن موته النفسي قبل الفيزيولوجي ويصبح خطيرا على نفسه وعلى الآخرين. (فروم، مصدر سابق، ص ص 69-68)

## 3. نحو تأسيس أخلاق انسانية للعلم لتجاوز أزمة الإنسان المعاصر وخلق مجتمع سوي:

بالرغم من أن المشكلات الأخلاقية هي نفسها تماما بالنسبة إلى كل الأزمنة وعند كل البشر ، إلا أن كل ثقافة ومشكلاتها الأخلاقية الخاصة بها وناشئة عن بنيتها الخاصة، ومن أهم تلك المشكلات هي خضوع الإنسان لمنطق القوة والقدرة سواء قدرة الطبيعة أو قدرة الإنسان أو قدرة الآلة التي شيئته "إن خضوع الإنسان لاتحاد الوعد والوعيد هو "سقوطه" الحقيقي. وهو بخضوعه للسلطة = الهيمنة يفقد قدرته = استطاعته. إنه يفقد قدرته على الاستفادة من تلك القدرات التي تجعله إنسانا حقا، ويكف عقله عن العمل ..... يفقد قدرته على الحب، لأن انفعالاته مرتبطة بالذين يعتمد عليه، ويفقد شعوره الأخلاقي لان عجزه عن مساءلة الذين في السلطة وانتقادهم يبلد حكمه الأخلاقي فيما يخص أي شخص وأي شيء." (فروم، مصدر سابق، ص ص 275-274)

يرفض "فروم" بداية التصنيف الأحادي للقيم الأخلاقية، ويرى ضرورة تكامل تلك الأحكام سواء المطلقة أو النسبية بحيث يوجه نقدا لكليهما ويعتبر أن الاخلاق الإنسانية تتضمن الجمع بين الحكمين"

فإذا كنا نرفض المطلقية التي لا ترى نسبية الأشياء فإننا نرفض كذلك النسبوية التي لا تلاحظ أي شمول. وعندما أتحدث عن الاختلافات النسبية بين شخصية أحدهما غربي والاخر صيني أو فرنسي فيجب أن أكون واعيا للأمور التي تجمعهما وتشملهما وهي انسانيتهما المشتركة فكل تعريف للإنسان يشملهما." (فروم، مصدر سابق، ص 10) لذلك يطرح فهما جديدا للقيم بحيث يرى فيه أن كل ما يساهم في نمو أعظم لقدرات الانسان النوعية كل ما يسهل الحياة، ويكون معتبرا ذا قيمة وكل ما يخنق الحياة يعتبر كشيء سلبي أو سيئ، ( عباس ، 2005، ص 542) فالخير والشر يتحدد بناءا على ما هو ايجابي وسلبي بالنسبة للإنسان كما يجب تحقيق التوازن بين الجانب العقلي والجانب الروحي في تلك الاختراعات العلمية لأن الانفصال يؤدي بالمجتمع إلى حالة من الجنون أو الفصام على حد تعبير " فروم ."

إذ يجب في رأيه أن نغير نظرتنا للعلم من خلال النظر إليه من زوايا مختلفة، فبالرغم من انبهار الإنسان بالانجاز الذي حققته الثورة الصناعية الأولى أين تحولت الطاقة من طاقة حيوية إلى طاقة آلية سهلت عمل الإنسان، إلا أنها في المقابل أدت إلى انتشار الطبقية في المجتمع الواحد (الطبقة المالكة والطبقة العاملة) وكذلك إحداث الفروقات بين المجتمعات الأخرى (المجتمع المنتج والمجتمع المستهلك)، مما أدى إلى انتشار الاستغلال والسيطرة، كما كانت من أسباب انتشار الحركات الاستعمارية الأوروبية على بلدان إفريقيا من أجل استغلال ثرواتها "فالموقف الادخاري قد تسبب المعاناة الانسانية وانعدام الاحترام لكرامة الإنسان وسبب لأوروبا أن تستغل إفريقيا وآسيا وطبقتها العاملة بقسوة من دون إعتبار للقيم الإنسانية." (فروم، مصدر سابق، ص ص 210-209) والأمر نفسه بالنسبة للثورة الصناعية الثانية التي كانت نتيجتها السباق نحو التسلح وامتلاك مزيدا من السلاح النووي المدمر. وفي هذا يقدم نقده للرأس مالية التي قيدت الإنسان بقيود جديد ( الانتاج ورأس المال) " فإن أخطر أعراض النظام الرأس مالي هو إنتاج الأسلحة المدرمة التي تهدد مصير الإنسان بالتدمير". (عباس، مرجع سابق، ص 535)

يشتهر "إريك فرم" في كتاباته الفلسفية والنفسية والاجتماعية بنزعته الإنسانية ودفاعه عن الإنسان إنطلاقا من مبدأ وجود ملامح مشتركة بين بني البشر في كل زمان ومكان، مبعدا الإعتماد على كل خلفية دينية أو ثقافية أو عرقية بل النظر إلى جوهر الطبيعة البشرية التي يشترك فيها جميع البشر، ويرى" بأن النزعة الإنسانية ظهرت كرد فعل للتهديد الذي يتعرض له الإنسان الذي يتمثل في التهديد لوجوده المادي نتيجة الحروب، والآن تهديد أخطر مس الوجود الروحي للإنسان في المجتمع الصناعي." (فروم، مصدر سابق، ص 52) ويمكننا أن نفهم من هذا بأن ظهور الأفكار التي تنادي بالنزعة الإنسانية

وكذا الاهتمام بالإنسان وحماية كيانه ليست حديثة مخلفات عصر العلم والتكنولوجيا بل تمتد جذورها عبر مختلف العصور، فقط تختلف من حيث معطيات وظروف الإنسان في كل مرحلة ويبقى مبدؤها واحد وهو الدفاع عن الإنسان ضد أي شيء يهدد وجوده.

إن تمسك "فروم" بفلسفته الإنسانية جعله يرفض الإمبريالية بكل أصنافها لأنها تخدم فئة معينة على حساب فئات أخرى، كما أنها تعزز مبدأ الامتلاك على مبدأ الوجود، والأخطر من ذلك بالنسبة إليه أن الحرب المعاصرة تدار بدون أية أخلاقيات ولا قواعد ولا حتى بدون اي إحساس بالذنب حتى في حق من يقتل بدون حق، فتكنولوجيا الحرب تسمح بالقتل عن بعد دون رؤية ساحة الحرب. لذلك نجد أن موقفه من الحربيين العالميتين الاولى والثانية كحرب تدميرية للإنسانية جمعاء، ونقده اللاذع لحرب أمريكا على الفيتنام، وتحذيره من قيام حرب نووية أثناء الحرب الباردة، يجسد تلك النزعة الإنسانية التي نادى بها، والأكثر من ذلك هو وقوفه ضد الحركة الصهيونية لممارستها اتجاه الفلسطينيين بارغم من أنه يهودي الأصل، فهذا يعبر عن عمق "فروم" المفكر الانساني في رفضه لكل هيمنة للإنسان على الإنسان. (فروم، مصدر سابق، ص ص 15-14)

يطرح سؤال مهما في كتابه" ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة": ما ذا يعني أن يكون المرئ إنسانا – أي ما هو العنصر الإنساني الذي علينا أن نتناوله باعتباره عاملا جوهريا في أداء النظام الاجتماعي؟". (فروم، مصدر سابق، ص 97) إذ يشير في إجابته لسؤاله إلى مجموعة من التعريفات التي تناولت مفهوم الإنسان مثل: الإنسان العاقل، البيولوجي، الصانع، الرافض، اللاعب،" ويرى أن هذه التعريفات غير كافية للإجابة على ذلك السؤال الذي يبقى مفتوحا لجملة من الإمكانيات والاختيارات الأخرى، ففي رأيه يمكن للإنسان أن يكون صالح وفاسد، محب ومدمر، سهل خداعه أو مستقل، قديسا أو وغدا، وهذه الصفات يمكن أن تكون جميعها داخل كل فرد منا، ويمكننا أن نستخلص إنسانيتنا داخل إطار الظروف المحيطة بالوجود الإنساني، وما يهم هو الوعي بذلك مع توفر شرط وجود الأمل الذي يخلق لنا الإنسان الآمل الذي بإمكانه تجاوز أزماته. (فروم، مصدر سابق، ص ص 97-99)

يتحدث عن حاجتنا إلى فلسفة لأخلاق الإنسانية من متطلباتها الأساسية عمل الإنسان لأجل ذاته واستخدام قدراته من أجل فهم وجوده، لكي يكون انسانا بالمعنى الحقيقي للإنسانية بحيث تتجه أهدافه إلى داخل ذاته وليس نحو خارجها وإلا أصيب بالضياع وهو في بحثه الدائم عن وجوده "ومادام أي إمرئ يعتقد أن مثاله وقصده خارجه، وأنه فوق الغيوم، في الماضي أو في المستقبل، فسيذهب إلى خارج نفسه

ويتوخى تحقيقه حيث لا يمكن أن يوجد. وسوف يبحث عن الحلول والإجابات في كل موضع إلا الموضع الذي يمكن أن أن توجد فيه – في ذاته." (فروم، مصدر سابق، ص 276)

يؤكد "فروم" أن بناء القواعد والمعايير الاخلاقية يجب أن يرتبط بالحياة الإنسانية من خلال معرفة الطبيعة الإنسانية والعمل على تطويرها وتنميتها كهدف أسمى نتجاوز به الغايات المادية والمصالح الخاصة "أما أساس هذا النظام فيكمن في فكرة مفادها أن بالإمكان تحديد ما هو جيد وما هو رديء للإنسان، إذ جيد ورديء لا تعني هنا ما يرغب فيه ولا ما يرغب فيه، كما لا تعني ما هو جيد ورديء لمصلحته المادية بل يعني ذلك ما شجع على نمو الإنسان التام". (فروم، د.ت، ص 77) وفي هذا يعطينا مثالا عن تجربة "مايو " التي أجراها في شركة حول مردودية العمال من أجل معرفة سبب التقدم في العمل حيث وجد بأنه مرتبط بالجانب الانساني الذي يجعلهم يحبون ما يعملون عندما يشعرون بالاهتمام والاحترام أكثر منه بالجانب النفعي" لقد استطاع مايو أن يبرهن أن ما يرفع مردودية العمال هو ليس استراحة الصبح واستراحة بعد الظهر، لكن الاهتمام بهم، وهو اهتمام لم يكونوا ينتظرونه وبعد هذا كان مناسبة بداية طريق تفكير جديدة أن ما يرفع من الانتاج ليس هو الاستراحات والرفع من الأجور بل هو حب العمل نفسه." (فروم، مصدر سابق، ص 211)

فالحل الذي يقدمه فروم في نهاية "كتابه الإنسان من أجل ذاته،" يكمن في إيمان الإنسان بقدرته وإرادته ليحقق وجوده الفعلي "إن القرار متروك للإنسان. وهو يعتمد على قدرة الإنسان على أن يقيم وزنا لنفسه وحياته وسعادته، وعلى استعداده لمواجهة المشكلة الأخلاقية لنفسه ولمجتمعه. إنه يعتمد على شجاعته الكافية لأن يكوّن ذاته وأن يكون من أجل ذاته." (فروم، مصدر سابق، ص 277)

الأمر الذي دفعه إلى القول بضرورة تقوية وتنمية مبدأ الوجود الإنساني للقضاء على استلابه وامتلاكه من طرف مختلف القوى، وذلك لا يعني القضاء النهائي على مبدأ الامتلاك بقدر ما يعني إيجاد التوازن بين المبدأين من أجل حياة متوازنة. فتنمية الوجود تكون عن طريق عقلنة الاستهلاك الفردي والاستغناء عن الثانويات مثلا، أو بعدم الخضوع لإغراءات العوالم المصنعة، وذلك يكون عن طريق وعي المرء بأن إغراءات السوق تتأسس على سذاجة المستهلك وليس على ذكاء مهندسي تلك السوق. (فروم، مصدر سابق، ص 13)

أي توجيه عملية الإنتاج من الاستهلاك الخاص غير الضروري إلى مزيد من الأشكال الإنسانية للاستهلاك الاجتماعي المفيد كنوع جديد من أنواع الاستهلاك التي تقودنا إلى خلق مجتمع انساني أصيل

وحيوي بدل الاستهلاك المميت، كالاهتمام بمشاريع تنموية لصالح العام من قبيل انشاء وحدات سكنية، وتحسين التعليم، والصحة، وتطوير الانظمة الحضرية كالمواصلات، المتنزهات والملاعب ...الخ خاصة تلك الاحياء الفقيرة و البعيدة عن الاحساس بالوجود الإنساني الحقيقي. حتى يكون هناك توازن في توزيع الثروات البشرية والمادية لتأخذ طابع المصلحة العامة. (فروم، مصدر سابق، ص ص201-199) ومن أجل أن نصل في النهاية إلى تحقيق ما سماه بنمط الكينونة الذي يسمح بالحفاظ على الهوية والتقليل من التشبث بالممتلكات بالتخلي عن شعور الانانية وحب الذات التي تجد قيمتها وضمان بقائها فيما تملك في نمط الالكينونة. على النحو الذي ذهب إليه من قبل " كارل ماركس. "

نلاحظ من خلال فلسفة "فروم" الإنسانية تفاؤله الكبير بالحياة، وبنزعة الأمل التي تصاحب أفكاره لبلوغ ما سماه بـ "فن الحياة"، إذ يُعنون أهم مؤلفاته ب" بثورة الأمل" كمخرج لحل أزمات الإنسان ، ويعتبر أن الأمل هو شرط أساسي وجوهري ليصبح الإنسان إنسانا بالمعنى المطلوب لذلك " إذا ما كف الإنسان عن كل أمل، فإنه يكون قد دخل من بوابة الجحيم – سواء عرف هذا أم لم يعرف- ويكون قد خلّف في الوراء إنسانيته الخاصة." (فروم، مصدر سابق، ص 97) وهنا يجب الإشارة إلى أن تفاؤله لا يرتبط بالعاطفة ولا يعني أبدا سهولة القضاء على تلك الأزمات بل يرتبط أكثر بالعقل وبقوة الإرادة في تغيير وضع الإنسان، لأنه يدرك مدى صعوبة المهمة ولكن ليست مستحيلة بل لابد أن تكون له أولا الرغبة في التغيير من خلال وعيه التام بواقعه المتأزم.

ومن الحلول التي يقترحها أيضا لخروج الإنسان من أزمته هي دفاعه عن كل الأفكار الجديدة المبنية على عقلانية رفض الواقع الراهن والبحث عن طرق التغيير بتوعية الأفراد نحو طريق التحرر من الاستغلال من خلال رفض الايديولوجيات المزيفة والمضللة والتمسك بقوة الأفكار وفاعليتها في تكريس طاقة الانسان وإيجابيته لتحقيق أهدافه، وفي هذا يدعو إلى ضرورة التمييز بينهما في قوله: "إن الإيديولوجيات هي أفكار جرت صياغتها للاستهلاك العام، وهي تشبع حاجة كل فرد إلى أن يخفف من ضميره الآثم بالإيمان بأنه يتصرف لصالح شيء يبدو حسنا أو مرغوبا فيه. والايديولوجيات هي" فكر- سلع" جاهزة تنتشر من خلال الصحافة والخطباء والايديولوجيين لكي يستغلوا جمهرة الناس لأغراض ليس لها شأن بالايديولجيا....على سبيل المثال عندما نجعل الحرب محبوبة بأن نصفها بأنها حرب من أجل الحرية..... وفي المقابل فإن الفكرة تشير إلى ما هو حقيقي. إنها تفتح العيون. إنها توقظ الناس من غفوتهم." (فروم، مصدر سابق، ص ص 223-222)

والدعوة إلى التغيير والتحرر من سلطة الايديولوجيا و العلم والتكنولوجيا يمكننا التعبير عنه بمصطلح "فروم" وهو ضرورة لجوء الإنسان إلى "العصيان" الذي يأخذ مجرى الرفض الايجابي وليس في مفهومه السلبي الذي يؤول إلى التمرد والعنف، وإنما يؤدي إلى "تطوره العقلي الذي اعتمد بشكل أساسي على حقيقة كونه عاص، عاص ضد السلطات التي حاولت تكميم الافكار الجديدة، عاص ضد سلطة الآراء الراسخة لمدة طويلة والتي حولت التغيير في النهاية لشيء لا معنى له." (فروم، مصدر سابق، ص 11)

وضع بعض الشروط الأساسية التي في رأيه يمكنها أن تحدث تغييرا جديدا في الشخصية الإنسانية ويسميها بالشروط العامة النبيلة المتعلقة بالوجود الإنساني وهي": (فروم، مصدر سابق، ص 159)

- المعاناة، مع الوعي باننا نعاني

-الكشف عن الاصل في الحالة السيئة التي بسببها نعاني

-أن نتبين بأن لنا مخرجا من حالتنا تلك

-أن نقبل فكرة أننا لكي نتجاوز تلك الحالة فإنه يجب علينا أن نتبع طرائق معينة في المعيشة، وأن نغير ممارساتنا الحياتية الراهنة.

**-الحرية والحب مطلبان لأخلاق إنسانية في زمن العلم :**

تعتبر الحرية الشرط الأساسي للاخلاق الإنسانية، فتحقيق الإنسان لحريته يعتبر الضمان الأساسي لتحرره من قيود السلطة بكل أشكالها ( الدكتاتورية، سلطة الانتاج والسوق، سلطة الآلة وغيرها)، لذلك "فإن الحرية هي الشرط الضروري للسعادة والفضيلة، الحرية لا بمعنى القدرة على القيام بالاختيارات التحكمية ولا بمعنى التحرر من الضرورة، بل الحرية لتحقيق ما هو المرء إمكانيا، لإيفاء طبيعة الإنسان الحقيقية حقها وفقا لقوانين وجوده." (فروم، مصدر سابق، ص 275) فبها يستطيع الإنسان أن يحقق وجوده الإنساني. وفي هذا لمعنى للحرية يقصد الجانب الحقيقي والايجابي لمعنى الحرية، بحيث أشار في مناقشاته لدلالات الحرية سيكولوجيا جانبها السلبي أيضا والذي يتمثل في " أن الإنسان الحديث يشعر بأنه حر، إلا أنه فعليا مغترب عن ذاته وعن الآخرين وعن تحقيق ذاته بشكل فاعل ومنتج، أي أن الإنسان يتوهم أنه حر في حين نجده يقع تحت سلطة المؤسسات أو سلطة اللاشعور، والحرية الحقيقية هي التحرر الباطني من القمع." (جمعة، مرجع سابق، ص 175) الذي يتيح تحقيق ذاتية الفرد واستقلاليته وكسب ثقته ليسمح لقدراته من الإنطلاق نحو حياة جديدة يشكل الإنسان مركزها.

لذلك وجب علينا الصراع من أجل الحرية، باعتباره صراع ضد كل أنواع السلطة والاستغلال التي تقهر إرادة الفرد "ومن اللازم أن يعني الصراع من أجل الحرية اليوم تحرير أنفسنا فرادة وجماعات من السلطة التي نخضع لها بكامل إرادتنا، من القوى الداخلية التي تحتم علينا هذا الخضوع لأننا عاجزون عن تحمل الحرية." (فروم، مصدر سابق، ص 59) فالتحرر من جملة القيود الداخلية والخارجية يعتبره "فروم" شرط أساسي لتكون لدى الإنسان حرية المعرفة والإبداع والخلق والبناء، وتحمل أيضا المسؤولية بكل إرادته. لأن الحرية ليست نابعة من العواطف بقدر ما هي نابعة من العقل والمعرفة والتي بإمكانها وضع الإنسان في الطريق الصحيح والتعامل بكل موضوعية في فهم العالم. (فروم، مصدر سابق، ص 59)

كما يعد الحب من القيم الإنسانية الذي بإمكانه إخراج الإنسان المعاصر من قوقعته المادية وبناء حضارة إنسانية تكون خالية من العداوة والنزعة التديميرية والتعايش السلمي بين المجتمعات، ويعرف الحب بأنه" نشاط وليس شعورا سلبيا، إنه الوقوف وليس الوقوع وبأشد الطرق عمومية يمكن وصف الطابع الإيجابي للحب بقولنا أن الحب هو العطاء أساسا وليس التلقي." (فروم، 2000، ص 30-29) بحيث يتوجه الإنسان عن طريقه من حب الأشياء و حب التملك والآلات إلى حب الحياة واعادة الاعتبار للحياة النفسية والروحية التي تضمن له سعادته الحقيقة "يمكن للإنسان الوصول إلى وحدته دون الرجوع إلى الوراء عن طريق تطوير قوته الانسانية الخاصة للعقل والحب، وبمقدار يصبح العالم منزله إذن سيصبح الإنسان كاملا وسيعيش في تناسق لانسجام جديد مع ذاته ومع الناس الآخرين ومع الطبيعة." (فروم، مصدر سابق، ص 134)

باعتبار أن الحب مفهوم تجريدي فإنه ايجابي وفعال يتجسد في فعل المحبة الذي يكون اتجاه إنسان، أو فكرة، أو حيوان أو رسما وغيرها باعتباره "نشاطا ايجابيا مثمرا ...يتضمن نفخ الروح في المحبوب واخصاب طاقاته الحيوية. إن المحبة صيرورة، عملية تجديد وإثراء للذات." (فروم، مصدر سابق، ص 55)

وبالتالي فالحب يعتبر أساسي في نمو الإنسان وفي الدخول في علاقات مع الآخرين يسودها التكامل والوحدة مع الاحساس بالاستقلالية في الوقت ذاته، ولكن لابد من توفر أساسيات الحب التي حددها " فروم" في: الاهتمام، والرعاية ثم المسؤولية. " والحب ذو اتجهات إنتاجية، ولذلك من الضروري أن يصاحبه في نفس الوقت الاهتمام والمسؤولية والاحترام والمعرفة بهدف الاتحاد. وهذه الشروط تبعدنا عن الحب السلبي الذي يحمل معنى الامتلاك والسيطرة والهلاك، بل الحب الذي يعطي للحياة معنى، بحيث

تصبح تجربة الحب هي أكثر الانشطة الإنسانية التي تمنح للإنسان البهجة، التي تكون بلا معنى إذا اعتبرت مسلكا جزئيا، مثلها في ذلك مثل التفكير." (فروم، مصدر سابق، ص 59) وهذا ما يسميه "فروم" بالحب الانتاجي الذي يريده أن يكون حاضرا في الوعي الإنساني و في إحساسه، وفي سلوكاته وفي علاقاته سواء مع نفسه أو مع غيره أو مع الدولة وهو حب مثمر لأن مضمونه تحقيق الحرية الايجابية والإرادة الإنسانية (جمعة، مرجع سابق، ص260).

يتوقف بلوغ النزعة النزعة الانسانية أيضا على حضور ما يسميه بالضمير الانساني الذي يوجهنا إلى الاهتمام بكل ما يتعلق بالإنسان وبتطويره، ويبعدنا عن كل ما يضره بدافع منه وليس بسلطة خارجية وهو صوت الضمير الإنساني الذي يقوم على "على حقيقة أنه لدينا نحن البشر معرفة ما يفضي إلى الحياة وما يدمرها. هذا الضمير يخدم احتياجاتنا الإنسانية. إنه الصوت الذي ينادينا بالعودة إلى أنفسنا وإلى الإنسانية." (فروم، مصدر سابق، ص 13)

يدعو الأجيال القادمة إلى التفكير في ايجاد مرجعية للقيم الإنسانية بعيدة عن أي مرجعية للعالم البرجوازي أو المنظمات التي تدعم الحقائق المطلقة والأفكار الايديولوجية، لمنع الإنسان من الموت الروحي وليس الموت المادي وكسب الشجاعة والإرادة لمواجهة المشاكل الروحية للوجود الإنساني. و"يمكن أن يتم ذلك بفحص ظروف الوجود الإنساني وبتحليلنا لكيفية حل تلك المشكلات بالشكل الأمثل". (فروم، مصدر سابق، ص 59) والانتقال من مبدأ السيطرة على الطبيعة إلى مبدأ السيطرة على التكنولوجيا، وايجاد علم جديد لقضايا الإنسان المعاصر، والدفاع عن حلم المجتمع الإنساني الفاضل وبجنس بشري جديد متحد ويعيش في سلام بعيدا عن الصراعات الطبقية والعرقية، ومتحرر من كل الحتميات الاقتصادية والاجتماعية التي تعيق نموه، عن طريق بذل المزيد من الجهد والإرادة والذكاء التي بذلت من قبل في تحقيق الأحلام التكنولوجية. (فروم، مصدر سابق، ص 167)

## 4. خاتمة:

بهذا فقد سعى "فروم" إلى محاولة فهم أزمات الواقع المعاصر من خلال تشخيصه للحالة المرضية التي يمر بها المجتمع الانساني في ظل التطور التكنولوجي والعلمي الكبير، والذي في رأيه قد فقد فيه انسان

عصر العلم وجوده الحقيقي ووعيه بإنسانيته وبإمكانياتها، نتيجة بعده عن التفكير في القيم الاخلاقية الإنسانية التي بإمكانها أن تحافظ على توازنه في كيفية التكيف مع مجتمع مصنع من دون أن يُضيّع كينونته فيه، ولكي لا يصبح شيئا من أشياء عالم المادة بل إنسان واعي وفاعل وموجه لهذا العالم المادي، فأراد من فلسفته الإنسانية أن يبين لنا بأن الإنسان يجب أن يبقى مصدر الاهتمامات الرئيسية لكل التوجهات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وليس السوق والإنتاج التي ينبغي أن نوجهها في خدمة الإنسان وليس في طريق تدميره. فكان همه الأساسي البحث عن طريق يفضي إلى بعث النزعة الإنسانية من جديد، عن طريق تجديد الأمل والإرادة والحب وإيجاد إمكانيات تحقيق ذلك بعيدا عن الكراهية والتسلط وكل ايديولوجية من شأنها تعزيز الوضع الراهن.

**5. قائمة المراجع:**


عباس , فيصل .(2005) .الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة .ط. 1 . دار المنهل اللبناني.

جمعة ,قاسم .(2011) .النظرية النقدية عند إريك فروم .ط .1.بيروت :منتدى المعارف للطبع والنشر.

فروم ,إريك .(1972) .الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد .بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

فروم ,إريك .(1989) .الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ترجمة سعد زهران .ط.1. الكويت :عالم المعرفة.

فروم ,إريك .(2000) .إريك فروم، فن الحب، بحث في طبيعة الحب وأشكاله، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاه .بيروت :دار العودة.

فروم ,إريك .(2003) .الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجم حميد لشهب .شركة نداكوم للطباعة والنشر.

فروم ,إريك .(2007) .الإنسان من أجل ذاته" بحث في سيكولوجية الأخلاق"، ترجمة منقذ الهاشمي، .ط.1

فروم ,إريك .(2009) .المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي .ط.1

فروم ,إريك .(2010) .ثورة الأمل، نحو تكنولوجيا مؤنسنة، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد .ط .1 القاهرة :مكتبة دار الكلمة.

فروم ,إريك .(2016) .حب الحياة، ترجمة حميد لشهب. ط.1. بيروت :جداول للنشر والتوزيع.

فروم ,إريك .(2016) .عن العصيان ومقلات أخرى، ترجمة يوسف نبيل .ط.1. القاهرة :روافد للنشر والتوزيع.

فروم ,إريك(د.ت.) أزمة التحليل النفسي، ترجمة فؤاد كمال .دط. القاهرة :دار غريب.